نـــور المسيح يسوع المسيح الغالب ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح — السنة الرابعة والعشرون – عدد 1312: Issue No — NOUR ALMASIH / Light of Christ
رقم: 580 327 914 — غربي (07/01/2017) (25/12/2016) شرقي — Registered Society. No. 580 327 914

هكذا يصيرُ الله إنسانًا دونَ أن يترُكَ شيئًا من طبيعة البشر، ما خلا الخطيئة، التي ليست من صُلْبِ طبيعتنا. وهكذا يُداوي الطبيعة البشريَّة ويُعيدُها إلى براءتِها الأولى، بالقوَّة الإلهيَّة التي يجعلُها فيها.

في الواقع أنَّ الحيَّة عندما نفثت سُمَّ خُبثِها في شجرة المعرفة، أفسدَت طبيعةَ الإنسان عندما ذاقَ من الشجرة. وكانت الحيَّة تفكّر في أن تفترسَ أيضًا جسدَ الربِّ، ولكنَّها أُبيدَتْ بالقوَّة الإلهيَّة الساكنةِ في هذا الجسد.

نَعَم إنَّ تجسُّدَ اللهِ هو سرٌّ عظيمٌ ويبقى سرًّا... كيف يمكن الكلمةَ أن يكونَ جوهريًا في الجسد، هو الذي كلُّهُ في الآب بفعل كيانه وجوهره الذَّاتيَّين. كيف أمكَنَ الله، وهو بكامل طبيعة الله، أن يَصيرَ إنسانًا بحسَبِ طبيعة البشر، بغير أنْ يتنكَّرَ لهذه أو تلك من الطَّبيعتين، لا الإلهيَّة التي فيها هو إله، ولا البشريَّة التي فيها هو إنسان؟

الإيمانُ هو في أساس كلِّ ما يفوقُ الإدراك، يتحدَّى التعبير، فالإيمان وحدَهُ يمكنه أن يسبُرَ غورَ هذا السرّ.

التجسّد – للقديس أثناسيوس الكبير

القديس أثناسيوس الإسكندري

مرة أخرى نقول، أي طريق كان ممكنًا أن يسلكه الله؟ أيطلب من البشر التوبة عن تعدّياتهم لعلّهم كما ورثوا الفساد بسبب التعدّي ينالون عدم الفساد بسبب التوبة.

ولكن التوبة لا تستطيع أن توفي مطلب الله العادل لأنه إن لم يظل الإنسان في قبضة الموت يكون الله غير صادق. ثم انه تعجز التوبة عن أن تغيّر طبيعة الإنسان لأن كل ما تفعله هو أن تقف حائلًا بينه وبين ارتكاب الخطيئة .

ولو كان الأمر مجرد خطأ بسيط ارتكبه الإنسان ولم يتبعه الفساد فقد تكون التوبة كافية. أما الآن وقد علمنا أن الإنسان بمجرّد التعدّي انجرف في تيّار الفساد الذي أصبح طبيعة له، وحُرم من تلك النعمة التي سبق أن أعطيت له وهي مماثلة لصورة الله. فما هي الخطوة التالية التي كان يستلزمها الأمر؟ أو مَن الذي يستطيع أن يُعيد إليه تلك النعمة ويرده إلى حالته الأولى إلَّا كلمة الله الذي خَلق كل شيء من العدم في البدء".

لهذا عَمِل كلمة الله مرة أخرى ليأتي بالفاسد إلى عدم الفساد، وفي نفس الوقت أن يوفي مطلب الآب العادل المطالب به الجميع*. وحيث انه هو كلمة الآب ويفوق الكل، فكان هو وحده الذي يليق بطبيعته أن يجدد خلقة كل شيء وأن يتحمّل الآلام عِوَضًا عن الجميع وأن يكون نائبًا عن الجميع لدى الله."

* (ملحوظة للتوضيح): قال الله لآدم: «وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها. لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت» (تك ٢: ١٧). (أكل آدم، وعصَى أوامر الله، فكانت أجرة الخطيئة هي الموت الأبدي، إلَّا أنّ المسيح بواسطة سرّ التدبير الإلهي تجسَّد ليعيد آدم الساقط إلى بهاء المجد الذي فقده بعصيانه – مات المسيح عنَّا – لنعيش نحن للمسيح. كما يقول القديس بولس الرسول: «مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي.» (غل ٢: ٢٠)

ميلاد ربّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد

ميلاد ربّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح بالجسد

«عندما عَجَزَ الإنسان أن يحيا مع الله، إذ عَجَزَ عن حِفظ الوصية, وسَقَطَ في المُخالفة والتَّعدِّي، وطُرِحَ خارجًا عن حَضْرَة الله، تنازل الله في مِلء الدُّهُور, وجاء إلَينا ليحيا معنا. هذا هو التَّجسُّد وهذا هو ميلاد المسيح «عمانوئيل» الذي تفسيره الله معنا».

«إنَّ كيفية الاتِّحاد عميقة حقًا وفائقة الوصف وفائقة لمداركنا. فمن الجهالة التّامَّة أن نُخضِعَ للبحث (العقلي) ما يفوق العقل, وأن نُحاول أن نُدرك بعقولنا الذي لا يُدرَك بالعقل. أم لست تعلم أنَّ ذلك السِّر العميق ينبغي أن يُعبَدَ بإيمان بلا فحص؟ وأمَّا السُّؤال الجاهل "كيف يُمكن أن يكون هذا ؟", فإنَّنا نتركه لنيقوديموس وأمثاله. وأمَّا نحن فإنَّنا نقبل بدون تردُّد أقوال روح الله ونثق أنَّ المسيح القائل: "الحق الحق أقول لكم: إنَّنا نتكلَّم بما نعلم, ونشهد بما رأينا"...»

القدِّيس كيرلُّس الكبير

طروبارية الميلاد على اللحن الثالث:–

ميلادُكَ أيُّها المسيح إلهنا قد أشرق نور المعرفة للعالم. لأنّ السَّاجدين للكواكب به تعلّموا من الكوكب السجود لك يا شمس العدل. وأن يعرفوا أنَّك من مشارق العُلوِّ أتيت، يا رب المجد لك . (ثلاثًا).

قنداق عيد الميلاد – على اللحن الرابع :

اليوم تلد العذراء الفائق الجوهر فتقدِّم الأرض المغارة للذي لا يُدنَى منه. والملائكة يُمجِّدونه مع الرعاة، والمجوس يسيرونَ إليه مع النجم، فإنّه وُلِدَ من أجلنا صبيٌّ جديدٌ هو الإله الذي قبل الدهور.

الرسالة

ليسجد لك كلُّ أهل الأرض ويرتِّلوا لك
هلّلوا لله يا جميع أهل الأرض
فصلٌ من رسالة القديس بولس الرسول
إلى أهل غلاطية (١:١١-١٩)

يا إخوةُ لمَّا حان ملءُ الزَّمان أرسَل الله ابنهُ مولودًا من امرأةٍ مولودًا تحت النَّاموس ✻ ليفتدي الذين تحت النَّاموس لننال التبنِّي ✻ وبما أنَّكم أبناءٌ أرسَل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخًا يا ابَّا الآبُ ✻ فلستَ بعدُ عبدًا بل أنتَ ابنٌ. وإذا كنت ابنًا فأَنتَ وارثٌ لله بيسوع المسيح.

الإنجيل

فصلٌ شريف من بشارة القديس متّى الإنجيلي البشير، التلميذ الطاهر (متّى ٢: ١-١٢)

لمَّا وُلِدَ يسوع في بيت لحم اليهوديّة في أيام هيرودس الملك اذا مجوسٌ قد اقبلوا من المشرق إلى أورشليم قائلين: أين المولود ملك اليهود. فإنَّا رأينا نجمهُ في المشرِق فوافينا لنسجد له ✻ فلمَّا سمع هيرودس الملك اضطرب هو وكلُّ أورشليم معهُ ✻ وجمعَ كلَّ رؤَساء الكهنة وكَتَبَةِ الشَّعب واستخبرهم أين يولَد المسيح ✻ فقالوا لهُ في بيت لحم اليهودية. لأنّه هكذا قد كُتِبَ بالنبيِّ: وأنتِ يا بيت لحم أرض يهوذا لستِ بصُغرى في رؤَساءِ يهوذا لأنَّهُ منكِ يخرج المدبِّر الذي يرعى شعبي إسرائيل ✻ حينئذٍ دعا هيرودس المجوس سرًّا وتحقَّقَ منهم زمان النجم الذي ظهر ✻ ثمَّ أرسلهم إلى بيت لحم قائلًا انطلقوا وابحثوا عن الصبيّ بتدقيقٍ ومتى وجدتموهُ فاخبروني لكي آتي أنا أيضًا واسجد لهُ ✻ فلمَّا سمعوا من الملك ذهبوا فإذا النجم الذي كانوا رأوهُ في المشرِق يتقدَّمهم حتَّى جاءَ ووقفَ فوق الموضع الذي كان فيه الصبيُّ ✻ فلمَّا رأوا النجم فرحوا فرحًا عظيمًا جدًّا وأَتوا إلى البيت فوجدوا الصبيَّ مع مريم أمّهِ فخرُّوا ساجدين لهُ وفتحوا كنوزهم وقدَّموا له هدايا من ذهَبٍ ولُبانٍ وَمُرٍّ ✻ ثمَّ أُوحِيَ إليهم في الحلم أن لا يرجعوا إلى هيرودس فانصرفوا في طريقٍ أُخرى إلى بلادهم.

شذرات من آباء الكنيسة العظام

✝ التجسّد – للقديس يوحنا الذهبي الفم

«والكلمة صار جسدًا وحلَّ فينا». بعد أن قال الإنجيلي إنَّ الذين قبِلوه قد أصبحوا أبناء الله لأنَّهم وُلِدوا منه، يوضحُ لنا سببَ ذلك الشرف الأثيل، وهو أن الكلمة قد صار جسدًا واتخذَ الربُّ صفةَ العبد، ومع أنَّه بالحقيقة ابنُ الله جعل نفسَه ابنَ الإنسان ليجعلَ الناس أبناء الله. عندما يرمُقُ السامي المُقام مَن كانَ أوفى منه رتبةً، لا يُخفِّضُ من مجده، بل يرفَعُ الوضيعَ إلى مستواه، وإذ يعطِفُ ملكٌ على فقير مهتمًّا بشأنه، لا ينتهِكُ شرفَه، بل يجعلُ المسكينَ عزيزًا مرموقًا في عيون الناس، وهذا ما فعله المسيح. بنزوله من السماء لم يحطَّ من طبيعته الإلهية، لكنه رقَّانا إلى مجده نحن الذين كنا نتسكَّعُ في رطامِ العار والظُلُمات.

إذا كانت مخالطَةُ الوضيع لا تُخفِض من مُقامِ الشريف من أهل العالم، مع أن الصفاتِ الإنسانيَّة خارجيّة، فكَم بالأحرى إنها لا تَمُسُّ من حُرْمَةِ القيُّومِ الأزليّ الذي لا يتغيَّر شيءٌ في جوهره الإلهي!

فإذا سمعْتَ القارئ يقول: «الكلمةُ صارَ جسدًا»، لا تضطربنَّ لذلك، فالذي صار جسدًا ليس الجوهر الإلهي، إنَّ هذا لكفرٌ، لكنه لا يزال على كيانه، قد اتخذ حالةَ عبد.

(العِظَة ١١ على إنجيل يوحنا)

✝ آيةُ الميلاد – للقديس غريغوريوس النيصي

لنَعُدْ إلى أفراحنا التي أعلنها الملائكة للرعاة ورَوَّتْها السماء للمجوس وأَذاعها روح النبؤة بألف صوتٍ ليصبح المجوس أنفسهم مُذيعي النعمة. إنَّ الذي يُشرق شمسه على الأخيار والفجّار ويسكُب غيثه على الأبرار والأشرار، وضَعَ أشعةَ المعرفة وندى الروح على شفاه شتّى، إنَّ هذه الشهادات المتباينة في إبعادها، تُثبتُ لنا الحقيقة بصورة أوضحْ. اسمعْ إلى بلعام العرَّاف يتنبّأُ صارخًا أمام الغرباء: «يظهرُ كوكبٌ من يعقوب» (سفر العدد ٢٤: ١٧).

وانظرْ ذُرِّيَّةَ المجوس يرقبون بحسب نُبوءَةِ جدِّهم ظهورَ نجمٍ جديد، له وحدهُ بين سائر الكواكب إمكانيَّة الحركة والجُمود، فيجمعُ هاتين الخاصَّتين لأجل خدمة الله. بينما تُتابعُ سائرُ الكواكب سيرَها في الكون بدون توقُّفٍ، أو يكونُ لها مقرٌّ ثابتٌ لا يتغيَّر. أمَّا كوكبُنا فيسيرُ ليقودَ المجوس، ويقفُ ليُرشدهم إلى المكان. هوذا أَشعيا يصرخ: «قد وُلِدَ لنا ولَدٌ أُعطيَ لنا ابنٌ» (اشعيا ٩: ٦). تعلَّم من هذا النبي طريقةَ مولدِ هذا الطفل وكيف أُعطي لنا. هل كان ذلك بحسب الشريعة الطبيعيَّة!

كلاَّ، يُجيب النبيّ، لا يخضع سيِّدُ الطبيعة لشرائعها. قُلْ لي إذن، كيفَ وُلِدَ الطفل؟ إليكَ ذلك: «يؤتيكُمُ الربُّ آيةً، ها إنَّ العذراء تحبل وتَلِدُ ابنًا ويُدعى عمانوئيل» (اشعيا ٧: ١٤)، التي تعني: الله معنا.

(عِظَة عيد الميلاد)

✝ بالتجسّد لم تتغيّر الطبيعة الإلهية – للقديس كيرلّس الاسكندري

كيف حلَّ بيننا متَّخِذًا جسدًا من عذراء؟ لم يأخذ جسدًا خاليًا من الروح، كما يدَّعي كثيرٌ من الهراطقة، بل فيه نفسٌ عاقلة. هكذا وُلد إنسانًا كاملًا من امرأةٍ بريئةٍ من الخطيئة، حقيقةً وليس ظاهرًا أو خياليًا. وبدون أن يتخلَّى عن جوهره الإلهي أو ينقطع عن أن يكون ما كان دائمًا وسيكونه، **أعني الله**. ولهذا نقول: إنَّ العذراء هي **أُمُّ الله**، وكما كتبَ الرسول بولس: «إله واحدٌ، الآبُ الذي منه كل شيء ورَبٌّ واحدٌ يسوع المسيح الذي به كلُّ شيء» (الأولى إلى كورنثوس ٨: ٦). لا نُجزِّئ ابنينِ إلهنا ومخلِّصَنا الأوحدَ، كلمةَ الله الذي صار إنسانًا وجسدًا. كما إنَّه لا يجوز أن نخلُطَ، كما يفعلُ كثيرٌ من الهراطقة السخفاء، في أُلوهيَّة الإنسان، فعلى رأي بَعضِهم، إنَّ كلمة الله تحوَّلَ إلى طبيعةٍ جسديَّةٍ، وعلى رأْي غيرهم أن الجسَد تحوَّل إلى جوهر إلهي. لا يتعرّض كلمة الله لأيّ تغيُّرٍ أو تنوُّع. وبما أنَّه اتَّحد بواسطة العذراء، بجسدٍ ذي نفسٍ عاقلةٍ، نقولُ إنَّه تجسَّد وتأَنَّس بنوعٍ فائق الوَصف.

(العِظَة ١٥، عن الميلاد)

✝ التجسُّدُ سرٌّ يبقى – للقديس مكسيموس المعترف

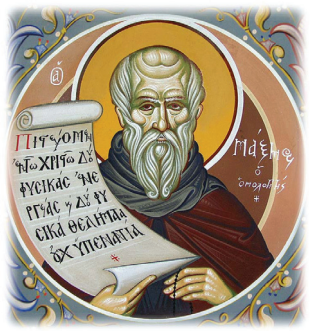

وُلِدَ كلمةُ الله مرةً واحدةً بحسب الجسد. ولكنَّه بحبِّه للبشر يودُّ أن يولَدَ باستمرار بالروح في الذين يحبُّونه. يصبح طفلًا صغيرًا، ويتكوَّنُ فيهم مع الفضائل. يظهرُ بمقدار ما يتَّضحُ له أنَّ مَن يقبلُهُ جديرٌ به. بفعله هذا، يُخفِّفُ من بهاء عظمته بقياس سَعَةِ الذين يرغبون في رؤيته. وهكذا يظهرُ لنا كلمةُ الله بالطريقة التي تُلائمنا، ولكنَّه يظلُّ مستترًا عن الجميع، بسبب عَظَمَة سرِّه. فالرسولُ السامي، من اعتباره لقوَّة هذا السرّ يقول بكل حكمة: «يسوعُ المسيحُ هو نفسُهُ أمسِ واليومَ وإلى الأبد». إنه يتأمَّل دائمًا هذا السرَّ الجديد، سرًّا لن ينتهي العقلُ من الإمعانِ فيه. المسيحُ، وهو الله، مولودٌ يصبحُ إنسانًا باتخاذه جسدًا متميزًا ذا نفسٍ عاقلة. وهو الذي أخرَجَ كل موجود من العَدَم... وإذا بنجْمٍ يسطَعُ في المشرق في وضحِ النهار يقودُ المجوس إلى مكان تجسُّدِ الكلمة. بهذا ظهرَ سرِّيًّا انتصارُ الكلمة المُحتواة في الشريعة والأنبياء، الكلمةِ التي تقودُ الشعوبَ نحوَ النُّور الأعظم الموهوب للبشر، لأنَّ كلمة الشريعة والأنبياء كانت كنجمٍ مُرتقَب، يقودُ الذينَ هم مَدعوُّونَ بالنِّعمة حَسَبَ مشيئة الله، إلى المعرفة الواضحة للكلمة المتجسِّد.